الباب الثاني

معجزات الإسلام العلمية

أوجد الله سبحانه الإسلام في الأرض في عصر لم يكن فيه شيء من العلوم الحديثة على قوم كان لهم نصيب من الفصاحة والبلاغة وكانوا أميين يندر فيهم من يعرف مبادىء القراءة والكتابة.

فلما نزل القرآن العظيم وحدَّث الرسول الكريم الأحاديث وكلها وحي من الله سبحانه كانا ـ مملوئين من المعلومات والإشارات إلى كثير من العلوم الحديثة وكانا فوق مستوى البشر من حيث البلاغة والتبيان. فقد تحدَّى الله سبحانه البشرية أن يأتوا بمثل القرآن أو بسورة منه أو بآية منه فعجزوا ودانوا له، وخصوصاً أن محمداً ﷺ لبث فيهم قبله أربعين سنة لم يقل أي شيء من الشعر أو الخطابة أو الحكمة. فآمن العرب ومن حولهم لما فيه من العقيدة والفصاحة والحكمة والصدق.

أما في هذا العصر فقد تفجَّرت ينابيع العلوم وتوالت الاكتشافات والمخترعات وازدهر الزمن بمختلف أنواع العلوم فقد وجد العلماء في القرآن الكريم والحديث الشريف معجزات في معظم العلوم الحديثة وإشارات إلى كثير من المخترعات مما جعل المؤمن يزداد إيماناً وغير المسلم يذعن

لما في الإسلام ويسلم إن كان منصفاً وأوتي الهداية.

ومن العجيب أن الرسول الكريم لم يفسر من آيات الله للناس إلا ما يتعلق بالعقيدة والعبادة وما يستطيع عقل ذلك الجيل أن يقبله، وأرجأ تفسير ما بقي للأجيال الآتية حتى يفسره كل جيل حسب علمه: وقد قال الله في ذلك الآية العظيمة **﴿وَقُلِ الحمدُ لله سَيُرِيكُمْ آياتِهِ فتعرِفُونها وَما ربُّك بغافِلٍ عَمَّا تَعملُونَ﴾**[1].

وهكذا كثرت تفاسير القرآن على مدى القرون السابقة، كل عالم كان يفسر القرآن حسب علمه وعلم عصره وكما نحن الآن، وسوف ترى الأجيال الآتية أموراً وعجائب ومعجزات قرآنية وسنية ما لم تصل إليه معلوماتنا الحديثة، مصداقاً لقوله تعالى **﴿مَا فَرَّطْنا في الكِتابِ مِن شيءٍ﴾**[2].

---

(١) النمل ٩٣.

(٢) الانعام ٣٨.

الفصل الأول

التاريخ في الإسلام

يختلف التاريخ الإسلامي عن التاريخ البشري بكثير من الأمور منها:

تاريخ البشر يصنعه الإنسان فيحوله عن مدلوله حسب فهمه ومصلحته؛ وقد يطرأ عليه تحريف وتبديل وتشويه حسب مصلحة المؤرخ لأن الإنسان ليس معصوماً عن الكذب وحب الذات. وكم من ملك صنع تاريخاً حسب هواه وأصبح تاريخه موجوداً كحقيقة صدقها الناس أو لم يصدقوا. وكم من حكومة صنعت تاريخاً قلبت فيه الحقائق وغيرت الواقع. ومن المؤسف أنه بمرور الزمن لا يبقى للكاذب في التاريخ من يكذبه. وحتى أحياناً لا يستطيع أحد في عصر الحكومة أو المؤرخ أن يردَّ عليه أو يكذبه. وقد يتقادم على التاريخ الزمن فيضيع أو ينسى.

أما التاريخ الإسلامي فقد وضعه رب العالمين وهو أصدق القائلين؛ قصه علينا في القرآن أو الحديث ليعلمنا إياه ونعتبر به ولا أرب له به سبحانه ولا مصلحة كما أن فيه الصدق المطلق، وقد تكفل بحفظه من التحريف أو الضياع.

والتاريخ البشري ليس فيه إلا سرد الوقائع على علاتها؛

وإن كان فيه من فائدة فأنها تعود للمؤرخ أو للمؤرخ له من مدحٍ أو ذم أو مادَّةٍ أو ما شابه.

أما التاريخ الإسلامي ففيه من الماضي ما ذكره الله لمقصد يستفاد منه درس أو علم أو عبرة. وفيه من الحاضر ما يجعلنا نسير فيه وفي التعامل معه في طريق مستقيم آمن ونتقي الضر والجنوح، كما فيه المستقبل الذي سنصير إليه ويصير الكون بكامله أيضاً فيه.

وهكذا فهو تاريخ الكون والإنسان منذ بدء الخليقة حتى النهاية من ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل.

وقد صيغ هذا التاريخ بمنتهى البيان والوضوح فكأنه شريط المبصار الملون أو كأننا حضور في زمنه وضمن وقائعه.

يبدأ الله فيه ببدء الكون ثم بالإنسان ماذا جرى له في مراحل عديدة ثم واقع الإنسان في كل عصر ثم كيف ينتهي إلى الحياة الآخرة.

أ: بدء الخلق

سئل رسول الله ﷺ: «أين كان ربنا قبل خلق السماوات والأرض؟ قال: كان في عمّاء ما فوقه هواء وما تحته هواء. ثم خلق العرش على الماء. كتب جلَّ ثناؤه في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض»[1]، وإن الله سبحانه خلق الأرض

---

(١) البيهقي.

في يومين من أيام الله ثم خلق السماء وكانت دخاناً فخلق من الدخان ما بالسماء من أكوان في أربعة أيام ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾[1].

ويقول علماء الفلك أن المجرات والشموس والكواكب في السماء كانت بحالة سديم أي ما يشبه الدخان ثم فصلت مجرات وشموس.

و«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض»[2] والعلم أثبت أن كل ما بجسد الإنسان من عناصر مأخوذ مما في الأرض مثل الماء والفحم والحديد ومختلف المعادن الأخرى.

ويقول الله سبحانه: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾[3]، وقد أثبت العلم الحديث أنه لا وجود لحي في الدنيا إلا والماء أكثر تكوينه، ففي جسد الإنسان ٦٥٪ من وزنه ماء، وكذا سائر الكائنات الحية من حيوان ونباتات وحتى الجراثيم والحمات الراشحة، ولا حي بدون ماء.

وذكر ربنا أن الأرض سكنها قبل آدم أقوام كانوا كالبشر أفسدوا فيها وسفكوا الدماء؛ وقد وجد المنقبون عن الآثار هياكل بشرية ومستحاثات لأجساد كالإنسان مضى على

---

(١) فصلت ١١.

(٢) أبوداود.

(٣) الأنبياء ٣٠.

وجودها مئات الألوف بل ملايين السنين، مع أن آدم وذريته سكنوا الأرض من بضعة آلاف من السنين أو قريباً من ذلك.

وإن الإنسان له جسد ماديّ وله روح وإن هذه الروح تختلف عن باقي الأرواح المخلوقة لعظمها وشرفها وإمكانيتها وقدرتها وذكائها فنسبها الله إليه إذ قال سبحانه ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾[1]، ﴿ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه﴾[2].

ثم أسكنه الجنة وخلق منه زوجته وأسعده وأباح له كل شيء عدا شجرة واحدة فلما عصى ربه أنزله إلى الأرض وكلفه فيها وجعله موظفاً برتبة خليفة وهنا تبدأ حياة الإنسان الأرضية ويبدأ تاريخ البشر.

---

(١)، (٢) السجدة ٧، ٩.

الفصل الثاني

السماوات

إن تاريخ السماوات يبدأ بعد خلق عرش الرحمن وكرسيه الذي ما السماوات والأرض إلا وهي صغيرة بالنسبة إليه كحلقة في صحراء. ولا نعلم تكون السماوات إلا أن الله ذكر أن السماء القريبة من الأرض كانت دخاناً ففصل منها المجرات والنجوم كما في الآية الكريمة ﴿**ثُم استوى إلى السَّماء وهي دخانٌ فقالَ لها وللأرضِ ائْتِيا طَوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائِعين**﴾. وقد ذكر العلم الحديث: أن العالم المادّي نشأ من غازٍ كوني مظلم شديد الظلمة شديد التخلخل ساخن جداً (كالدخان) يملأ الفضاء ومكون من دقائق هي أنواع المادَّة المختلفة.

وقال سبحانه: ﴿**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون**﴾[1] أي بنيناها بقدرةٍ وقوة عظمى وأنه يوسعها ويزيد فيها فهي تتسع إذ تتباعد مجراتها وشموسها بصورة دائمة كأن الكون ينفجر كما اكتشفت أماكن سحيقة تخلق فيها مجرات جديدة.

وقال سبحانه: ﴿**الشَّمْسُ والقَمرُ بحسبانٍ**﴾[2] أي يسير كل منهما بشكل محسوب بدقَّة وبنظام مما أوجد الحساب

---

(١) الذاريات ٤٧.
(٢) الرحمن ٥.

والتاريخ الشمسي والقمري من أشهر وفصول وساعات ودقائق وثواني و . . . الخ .

وقال سبحانه : ﴿ألَمْ تَروا أنَّ الله سَخَّرَ لَكُمْ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾[1] واليوم نرى البشر قد استفادوا من هذا التسخير ومما تحت الأرض وما فوقها وكذا استفادوا من الشمس فوائد كثيرة وذلِّلت لنا النجوم وسنصل إليها وهي مسخرة لنا ومباحة .

وقال سبحانه : ﴿يا مَعْشرَ الجنِّ والإنْس إنِ استطعتُم أنْ تَنفُذُوا مِنْ أقْطارِ السَّماواتِ والأرض فانفذوا ، لا تَنفذُون إلا بسُلطانٍ﴾[2] أي بقوة سيخلقها ربنا ويهيئها لنا ولو بعد الموت . لأنه يستحيل ذلك علينا الآن لاتساع الأفق فإن أقطار السماوات لا تدرك أطوالها لأننا نرى الآن نجوماً ومجرات تبعد عنا (٢٥) مليار سنة ضوئية وذلك في كل الاتجاهات .

وقال سبحانه : ﴿فَمَنْ يُردِ الله أنْ يَهدِيهُ يَشرَحْ صَدْرهُ للإسلامِ وَمَنْ يُردْ أنْ يُضلَّه يجعلْ صَدرهُ ضَيِّقاً حَرجاً كأنَّما يَصَّعَّدُ في السماءِ﴾[3] وقد اكتشف في هذا العصر أن الهواء كلما ارتفعنا به عن سطح البحر بضعة آلاف من الأمتار قل فيه الأوكسجين وأدى إلى ضيق الصدر وضيق النفس ثم إلى الموت اختناقاً ، وكلمة يصَّعَّدُ في السماء تعني فرط الصعود

---

(١) لقمان ٢٠ .

(٢) الرحمن ٣٣ .

(٣) الانعام ١٢٥ .

كما في الجبال الشاهقة والمناطيد، ولم يكن في الحجاز جبال شاهقة.

وأقسم ربنا بـ﴿النجم الثاقب﴾[1]. وقد اكتشف هذا النجم سنة ١٩٨٢م وهو نجم حرارته بالملايين من الدرجات وجاذبيته أكثر وأقوى من جاذبية الأرض بألوف الملايين، وهو يجذب النجوم ويحرقها ويسحقها ويبتلعها. كما اكتشف نجم آخر يثقب الفضاء بنوره تلد فيه مجرات جديدة ونجوم. فأيهما النجم الثاقب؟

وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّه هُو رَبُّ الشِعْرى﴾[2] وهو أضوء النجوم المشاهدة عياناً وأشد حرارة من الشمس وأعظم ضوءاً وأكبر منها ويبتعد عنا مسافة يقطعها الضوء بثمان سنوات ضوئية. ولو اقترب منا اقتراب الشمس لأحرق الأرض ومن فيها.

وقال سبحانه: ﴿فَلا أُقسِمُ بمواقِعِ النُّجومِ. وإنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعلمون عَظيمٌ﴾[3] وأي عظمة أكبر من نجوم كعدد رمال الدنيا كل منها أكبر من الشمس والأرض وكل منها له موقعه ومداره لا يحيد عنه ولا يصطدم بسواه وذلك لأن كل نجم يبتعد عن الآخر مسافة أربع سنوات ضوئية. وأن إمكان اصطدام نجم بآخر أبعد من الخيال ولو حدث لخرب الكون.

---

(١) الطارق ٣.

(٢) النجم ٤٩.

(٣) الواقعة ٧٥ ـ ٧٦.

وقال سبحانه: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾[1] أي ذات الطرق تسير فيها النجوم والمذنبات والمجرات كل له طريق خاص يسير فيه بنظام وبسرعة محددة فالشمس تدور حول كوكب الجبار هي ونجوم مجرتها وهي ٢٠٠ مليون شمس، والمجرات تسير في طرقها المخصصة لها وهكذا.

وقال سبحانه: ﴿ما خَلقنا السَّماواتِ والأرض وما بَينهما إلاَّ بالحقِّ وَأجلٍ مُسمًّى﴾[2] أي خلقها سبحانه وسيرها بقوانين ثابتة ثبوت الحق وأن لها أعماراً محدودة ستزول حين انقضاء عمرها كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَطْوي السَّماء كَطيِّ السِجلِّ للكتب كما بدأنا أوَّلَ خَلقٍ نُعيْدُهُ﴾[3] و﴿كُلُّ شَيءٍ هالكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿لَخلقُ السَّماواتِ والأرضِ أكبرُ مِنْ خَلقِ النَّاسِ﴾[5] وذلك لأن الإنسان بالنسبة لمجموع ما في السماوات والأرض خلق عادي وبسيط، والأرض هي ذرَّة صغيرة جداً في مجرَّتها والمجرَّة هي واحدة من ملايين أمثالها في سماء الدنيا.

وقال سبحانه: ﴿رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾[6] وهكذا نرى ما بالسماء معلقاً بالفضاء بدون عمد توصلها

---

(١) الذاريات ٧.
(٢) الاحقاف ٣.
(٣) الأنبياء ١٠٤.
(٤) القصص ٨٨.
(٥) غافر ٥٧.
(٦) الرعد ٢.

بالأرض أو حبال تعلقها أو تشدها بل هي قوة إلهية ونظام وجاذبيات قائم بها الله سبحانه وتعالى. وكذا قوله تعالى ﴿ويُمسكُ السَّماء أنْ تَقع على الأرضِ إلا بإذنِه﴾[1] وبذا لا ينزل على الأرض من السماء ما يؤذيها أو يصدم بها.

وقوله سبحانه: ﴿أوَلَمْ يَرَ الَّذِين كفروا أنَّ السَّماواتِ والأرض كانتا رَتْقاً ففتقناهُما﴾[2] أي كانتا كتلة واحدة ثم فصل الأرض عنها. وهذا ما يقوله الفلكيون المحدثون.

وأمر آخر يفتش عنه الفلكيون ولم يعثروا عليه بعد وهو وجود عوالم وأحياء في السماوات. ذكره لنا رسولنا الكريم بقوله: «أطَّت السماءُ وحق لها بأن تئط، وما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجدٌ لله تعالى»[3] فالسماوات مملوءة بعوالم قصرت إمكانيات البشر عن كشفها.

هذا بعض ما ذكره ربنا عن السماوات وأفلاكها؛ ثم حضَّنا على كشف أسرارها والاستفادة منها ومما فيها فقال سبحانه: ﴿قُل انظُروا ماذا في السَّماواتِ والأرضِ﴾[4]، ﴿إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لقومٍ يَتفكرون﴾[5]... الخ من آيات لنفتح آفاقاً جديدة وعلماً عظيماً هو علم الفلك وما يتبعه من علوم تستفيد البشرية منها.

---

(١) الحج ٦٥.
(٢) الأنبياء ٣٠.
(٣) أحمد.
(٤) يونس ١٠١.
(٥) الجاثية ١٣.

الفصل الثالث

الأرض

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الذينَ كَفروا أنَّ السَّماواتِ والأرض كانتا رَتقاً ففتقناهما**﴾[1] أي كانتا كتلة واحدة ثم جزأها وأخرج منها الأرض. وهذا ما يقوله علماء الفلك الحديث.

وذكر رسول الله ﷺ أنَّ الأرض كروية وأن باطنها فيه نار، إذ قال لمن أراد السفر في البحر الأحمر «لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً»[2] أي تحت البحر الأحمر المائع الناري في جوف الأرض، ومن جهة ثانية بعد المائع الناري يأتي المحيط الهادي فلو مررنا خطاً مستقيماً عمودياً من البحر الأحمر لاخترق الأرض من البحر الأحمر إلى المائع، الناري إلى المحيط الهادي، مما يثبت أيضاً أن الأرض كروية.

وقال الله تعالى: ﴿**وَتَرى الجِبالَ تَحسبُها جامِدةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنعَ اللهِ الَّذي أتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ**﴾[3] فالأرض تدور مع الجبال بسرعة (٥٠٠٠) كم في الساعة كما تدور

(١) الأنبياء ٣٠.

(٢) أبوداود.

(٣) النمل ٨٨.

حول الشمس بسرعة ١٦ ـ ٢٠ ألف كم في الساعة وهذا ما علمناه حديثاً.

هذا وإن دوران الأرض حول نفسها بهذه السرعة الهائلة يستدعي طرد ما فيها من الأشياء بعيدة عنها لذا أوجد الله لها الجاذبية الأرضية التي تمسك الأشياء والإنسان كالصحن الذي يمسك الأشياء، وقد دَلت الآية الكريمة عليها ﴿**ألم نَجعَلِ الأرضَ كِفاتاً أحياءً وأمواتاً**﴾[1] أي جعلنا الأرض كالصحن تحتوي وتمسك الأحياء وغير الأحياء.

وقال تعالى: ﴿**والأرض فرشناها فنعم الماهدون**﴾[2] ومن علم الجيولوجيا (علم طبقات الأرض) تبين أن قشرة الأرض مكونة من الصخر الصلب والغير مستوي فيه انخفاضات وارتفاعات مما يجعل السير عليه صعباً جداً ولا يمكن زراعته أو البناء فيه ومنه. لذا فرش الله سبحانه سطح الأرض بطبقة من التراب ناعمة فجعلها به مبسوطة مستوية لينة يسهل المشي عليها ويمكن زراعتها والبناء فيها والاستفادة منها في مجالات لا تحصى. كما جعل الانخفاضات تحت التراب مستودعات للماء النقي الذي يتفجر ينابيع وأنهاراً ويسقي الزرع ﴿وأنزلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فأسكنّاهُ في الأرض﴾[3].

---

(١) المرسلات ٢٥، ٢٦.

(٢) الذاريات ٤٨.

(٣) المؤمنون ١٨.

وجعل ربنا في الأرض طرقاً مختلفة الألوان والأشكال حتى ذكر منها الطرق السوداء والآية تذكرها بقوله سبحانه ﴿**وغرابيب سود**﴾ أو طرق سوداء، وكأن الآية تشير إلى طرق الزفت التي لم تكن معروفة من قبل.

وقال سبحانه: ﴿**رَبُّ السَماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما وَرَبُّ المشارِقِ**﴾[1] وكلنا يعلم أن الشمس والقمر لكل مشرق واحد؛ ولكن الأمر يختلف حسب خطوط الطول في الأرض فلما تدور الأرض حول نفسها كل بقعةٍ تشرق فيها الشمس تكون البقعة التي بعدها مظلمة ثم تشرق فيها الشمس لذا نجد في الخطوط العرضية شروقاً لكل بقعة فيها يتوالى فيها شروق الشمس وكذا القمر.

وأمر آخر هام وهو وجود الهواء المحيط بالأرض وسمكه أكثر من (٣٠٠) كم فلما تشرق الشمس يمتص حرارتها تدريجياً وكذا نورها مما يجعل النهار يتداخل بالليل ثم ينفرج عنه وكذا في المساء يتداخل الليل بالنهار تدرجياً حتى يحل الظلام وهذا ما يجعل حرارة الأرض ترتفع تدريجياً في النهار وتنخفض ليلاً تدريجياً ولولا ذلك لأحرقت حرارة الشمس ما بالأرض في النهار وجمَّدت الموجودات ليلاً. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾[2] وبآية ثانية ﴿**وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا**

(١) الصافات ٥.

(٢) فاطر ١٣.

هم مُظلمون﴾[1]، يتبين لنا بذلك كيف يتلاشى شعاع الشمس عند الغروب كأن الأرض خاروف أبيض سلخنا جلده بصورة تدريجية.

ويقول الله سبحانه للعرب بل لأهل مكة والمدينة: ﴿وكذلك جعلناكم أُمةً وسَطاً﴾[2] أي في وسط الدنيا أي جعلناكم بين القارات الثلاث المعروفة (آسيا وإفريقيا وأوروبا) وكذلك وسط بين الشعوب الراقية (الأكاسرة والرومان والفراعنة) بل وجغرافياً أيضاً أنتم في الوسط إذ يقول علماء المساحة والجغرافيا لو مرَّرنا خطاً مستقيماً من ذروة أمريكا الجنوبية إلى آلاسكا في شرق وشمالي آسيا، ومررنا خطاً آخر من استراليا إلى شمالي أمريكا، لتقاطع هذا الخطان في مكة والحجاز.

وقال سبحانه ﴿هُو أنْشأكُم مِنَ الأرضِ واستعمَركُمْ فيها﴾[3] فأنشأ سبحانه أجسادنا من كافة العناصر الموجودة في الأرض كالحديد والفحم والماء و. . . . الخ فلا يوجد في الأرض شيء من المعادن وأشباهها إلا في أجسادنا منها شيء. كما كلفنا أن نعمرها بالإيمان والأخلاق والحضارة بالعلم والعمل.

---

(١) يس ٣٧.

(٢) البقرة ١٤٣.

(٣) هود ٦١.

وذكر رسول الله ﷺ فقال: «لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس بالبنيان»[1] وهذه الأبنية تلزمها المصاعد وستزخرف. ونجد في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك **﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لِبُيُوتِهم سقفاً من فضةٍ ومعارج عليها يظهرون﴾**[2].

ويقول الرسول الكريم: «اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصاً ولا تزداد منهم إلا بعداً»[3]، وهذا ما نراه الآن يركض الإنسان وراء المال أو الكرسي أو الجاه أو الرفاهية وسواها ليلاً ونهاراً وهي تزداد عنه بعداً كلما تقدم الزمان ويزداد الوصول إليها صعوبةً وكدا.

ومع كل ذلك فالأرض وما فيها ضئيلة تافهة فهي في ملك الله ذرَّة في ذرة في ذرة في ذرَّة «ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء»[4].

---

(١) البخاري.

(٢) الزخرف ٣٣.

(٣) الحاكم والشهاب.

(٤) الترمذي.

الفصل الرابع

الماء

هو أهم مادةٍ خلقها الله في الأرض كما كانت أول المخلوقات وكما ذكر ذلك الرسول الكريم ﷺ إذ قال عن الله تعالى: «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء، ثم خلق العرش على الماء. كتب جلَّ ثناؤه في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض»[1] وكما قال سبحانه: ﴿وكان عَرْشُهُ عَلى الماءِ﴾[2].

وجعل ربنا كافة الأحياء من حيوان ونبات وسواها من الماء ﴿وجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍ﴾[3]، فلا نجد حياً أو نباتاً إلا والماء أكثر ما فيه.

والماء أكثر مادَّةٍ موجودة في الدنيا بعد الهواء فتركيب الأحياء مبني على الماء ويدخل الماء في سائر الأعمال من شرب وتنظيف وأعمال داخل الحي من هضم طعام وسير غذاء وهواء في العروق وأعمال خارج الحي من كيمياء وغريزة وفيزياء وصناعة و.. الخ لذا فهو أيضاً أهم مادَّة ولا يمكن العيش بدونها.

---

(١) البيهقي.

(٢) هود ٧.

(٣) الانبياء ٣٠.

والماء مالح أو عذب. فالماء المالح يشغل ثلثي الكرة الأرضية بشكل بحار تتلاقى بعضها مع بعض كأنها بحرٌ واحد، والمـاء العذب يوجد في الهواء بشكل رطوبة، ويوجد في السمـاء بشكل سحب ويوجد في أخاديد الأرض وشقوقها بشكل مياه جوفية وبشكل ينابيع وأنهار على الأرض. وهذه المياه العذبة متصل بعضها مع بعض كأنها بحر واحد وذلك: لأن ماء البحر يتبخر باستمرار فيشكل رطوبة الجو والسحب، والسحب تتلاقح بواسطة الرياح **﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾**[1] فينـزل منها المطر ويغيب المطر في جوف الأرض بشكل مستودعات ثم يتفجر ينابيع وأنهاراً، وينصب الماء بعد ذلك في البحار. لهذا كما جمع الله البحار ببحرٍ واحد جمع الماء العذب ببحر عـذب واحد ولا يبغي أحد على أحد رغم أنهما يلتقيان وذلك عند سطح البحر وعند مصب الأنهار والينابيع، وجعل الله سبحانه البحر العذب في الجو وعلى اليابسة من الأرض مرتفعاً عن سطح البحر المالح فكان ارتفاع البحر العذب عن البحر المالح برزخ بينهما فلا يبغي أحد على أحد وهذا ما قاله سبحانه: **﴿مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان﴾**[2]، والله سبحانه جعل الماء في البحر مالحاً فيه كثير من الأملاح والأسماك والجراثيم ولكن الماء يخرج بالتبخر من البحر عذباً لا أملاح فيه ومعقماً لا جراثيم فيه. وإذ يجتمع في الجو يسيره الله إلى اليابسة بشكل سحب أي

(١) الحجر ٢٢.

(٢) الرحمن ١٩.

بشك مستودع كبير يحوي بصورةٍ دائمة (٣٠٠٠) مليون طن من الماء. والسحب بعضها يحمل كهربائية موجبة ويحمل بعضها الآخر كهربائية سلبية فتلقح الرياح السحابة الموجبة بالسحابة السلبية فينزل المطر بقدر ﴿**وأنْزلنا مِنَ السَّماء ماء بِقدرٍ**﴾[1] لينفع الزرع ولا يؤذيه كما ينزل فراتا معقماً ﴿**وأنزلنا من السماءِ ماءً طهُوراً**﴾[2] ﴿**فأسْكنَّاهُ في الأرض**﴾[3]، ﴿**أفرأيْتمُ الماء الذي تَشربونَ؟ أأنْتم أنزَلتمُوهُ مِنَ المزْنِ أمْ نَحنُ المُنزلُونَ، لَوْ نشاءُ جَعَلناهُ أجاجاً فَلَوْلا تَشكُرُونَ**﴾[4]. أي مالحاً.

ويقول الله سبحانه: ﴿**وَهُوَ الذي سَخَّر البحر لتأكُلوا مِنْهُ لحماً طريّاً وَتستخرجوا مِنْهُ حِليةً تَلبسُونَها وَتَرى الفُلْكَ مَواخِر فيهِ وَلتبتغوا مِنْ فَضْلِهِ وَلعلكُم تَشكُرونَ**﴾[5] وفي هذا العصر شرعنا نستفيد من البحر مع اللحم الطري واللؤلؤ والمرجان والفلك نستفيد مما فيه من الأملاح وحتى البترول ونستفيد من الطحالب المنوعة وحتى نزرعه تحت الماء ونستفيد من نباتاته المختلفة وهذا من فضل الله المذكور بالآية.

ويشبه الله سبحانه الكافر وقد ضل عن طريق الهدى كأنه ﴿**أو كظلماتٍ في بَحرٍ لُجِّي يَغشاهُ مَوْجٌ مِن فوْقِهِ مَوْجٌ من فَوقِه سَحابٌ ظُلماتٌ بعضُها فوْق بَعضٍ إذا أخرج يَدهُ لم يَكد**

(١) المؤمنون ١٨.
(٢) الفرقان ٤٨.
(٣) المؤمنون ١٨.
(٤) الواقعة ٦٨ ـ ٧٠.
(٥) النحل ١٤.

يراها[1] أي كأنه في بحر عميق فوقه صفان من الموج صف على سطح الماء وموج ثاني تحته، ثم فوق ذلك سحاب.

وقد اكتشف العلماء وجود صف من الموج تحت موج سطح البحر ثم إن الموج يعكس أشعة الشمس فيظلم ما تحتها. وهذا الوضع غاية في الظلمة من الناحية العلمية ومحمد ﷺ لم ير البحر ولم يركب فيه ولم يسبح فيه.

﴿وَمِنْ آياتِهِ الجَوارِ في البَحْرِ كالأعْلامِ﴾[2] أي السفن العظيمة كالجبال وقد كانت سفن العرب صغيرة، ولكنه ستكون سفن بعد عصر النبوة كالجبال وقد يبلغ وزنها ألف ألف طن.

وذكر سبحانه أن البحار ستحترق **﴿وإذا البِحارُ سُجِّرَت﴾**[3] ونحن نعلم الآن أن شدة الحرارة تشعل الماء كالحطب.

---

(١) النور ٤٠.

(٢) الشورى ٣٢.

(٣) التكوير ٦.

الفصل الخامس

النار

كان الناس فيما مضى يوقدون النار بالشجر والمزروعات ومما ينتج منها كالزيوت. وكانت درجة الحرارة لا تتجاوز حرارة الجمر أي الـ (٤٠٠°). وكانوا يستفيدون من حرارتها بالتدفئة وبتسخين الطعام وبعض الصناعات.

أما الآن فإننا نستعمل الفحم الحجري والبترول والأورانيوم وحرارة الشمس وسواها للاستفادة من حرارتها، وتوصلنا إلى درجات حرارةٍ بلغت الألوف ومئات الألوف والملايين. كما اكتشفت حرارة النجوم التي قد تصل إلى الملايين من الدرجات بل لمئاتها وألوف الملايين منها.

والقرآن العظيم وحديث رسول الله ﷺ. «كلاهما وحي من الله» يذكران لنا أنه توجد في جهنم درجات حرارة قد تصل إلى الملايين وألوف الملايين.

فنار جهنم وقودها الناس والحجارة ولا تشتعل الحجارة إلا بدرجات حرارة فوق العشرة آلاف **﴿فَاتَّقُوا النَّار التي وقودُها الناسُ والحجارة﴾**[1].

---

(١) البقرة ٢٤.

ومن المعلوم أن الحديد أو سواه إذا سخناه لدرجة ٤٠٠ - ٥٠٠° يحمر لونه، وإذا زادت الحرارة أكثر ابيض لونه، وإذا زادت الحرارة أكثر كثيراً احترق واسود لونه، وهذا أمر لم يعرف إلا متأخراً، ولكن يذكر ذلك جبريل لرسول الله ﷺ في وصف جهنم فيقول: «إن الله تبارك وتعالى أمر فأوقد على النار ألف عام حتى احمرَّت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى اسودت».

ويقول جبريل عليه السلام «لو أن حلقة من حلق سلسلة أهل النار التي نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لارفضت»[1] أي تبددت الجبال لشدَّةِ الحرارة. واليوم يقول الفلكيون عن النجم الثاقب أن درجة حرارته لا يمكن تقديرها لشدَّتها فهي تحرق النجوم التي هي أكبر من الأرض وتفنيها.

وقال ربنا: ﴿**أفرأيْتُمُ النّار التي تُورونَ؟ أأنْتُمْ أنْشأتُمْ شَجَـرَتَهـا أمْ نَحْنُ المُنشِئونَ**﴾[2]. وكان لا يعرف في عصر النبوة إلا الحطب والخشب. ثم اكتشف بعد ذلك الفحم الحجري والبترول والغاز وهذه كما يقول علماء الجيولوجيا إنها حصيلة اشجار وغابات دفنت في باطن الأرض منذ ألوف بل ملايين السنين في باطن الأرض. إذن فالنار هي من الشجر القديم والحديث.

---

(١) الطبراني.

(٢) الواقعة ٧٢.

واستعملت النار في الماضي للاستفادة من حرارتها وضوئها. ولكن يذكر القرآن العظيم أنه يخلق من النار عناصر أخرى كالكهرباء التي هي أعظم وأكثر نفعاً من الحرارة كأشعة اكس x التي نرى من خلالها باطن جسم الإنسان من قلب ورئة وأحشاء وسواها كما قال سبحانه: ﴿**نارُ الله المُوقَدَةُ التي تَطَّلِعُ عَلى الأفئِدةِ**﴾[1]، كما يخلق من النار عوالم عاقله كالجن (العالم الذي لم يكتشف بعد) ﴿**وخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ من نارٍ**﴾[2].

والنار تحرق لأن ذلك قانون إلهي كقانون الزمن والمكان. ولكن قد يعطل الله سبحانه هذا القانون متى شاء كما عطل قانون الزمن يوم أسري برسول الله ﷺ وعرج به إلى السماء. وهذا ما حدث لسيدنا إبراهيم عليه السلام يوم ألقي في النار فقال سبحانه: ﴿**يا نارُ كُونِي بَرْداً وسلاماً عَلى إبْراهيم**﴾[3] فكانت كما أمر.

ومن معجزات القرآن ما ذكره الله سبحانه عن أهل النار ﴿**لَهُمْ مِنْ فَوقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تحتِهِمْ ظُلَلٌ**﴾[4] مما يشير إلى الأفران الكهربائية والغازية. التي يشوى بها بين نارين نار فوق ونار تحت الطعام.

---

(١) الهمزة ٦.

(٢) الرحمن ١٥.

(٣) الأنبياء ٦٩.

(٤) الزمر ١٦.